هل يمكن للعين أن تخون صاحبها ؟

آية كريمة طالما تفكرت فيها وبحثت في أسرارها العلمية ، هذه الآية هي قوله تعالى في سورة غافر: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) أية 19. وقد كنتُ أتساءل في نفسي ما معني خائنة الأعين ؟ وهل يمكن للعين أن تخون صاحبها وأن تفصح عن الأسرار المخبأة في دماغنا دون أن نشعر؟ ... هل يمكن للعلماء العثور على دليل علمي يجيب علي هذه التساؤلات ؟"هذا ما سأحاول الإجابة عليه في السطور القليلة القادمة بإذن الله .

في تفسير الآية قال ابن عباس : هو الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، وقد علم الله عز وجل منه أنه يود لو نظر إلى عورتها.

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي في خواطره (تفسيره) : اعلموا أن عِلْمَ الله شامل ولا يخفى عليه شيء مهما دَقَّ، فإنْ عمَّيتم على خلق الله في الدنيا واختلستُم النظرات فيما لا يحل لكم فاعلموا أنكم لا تخفَوْنَ على الله، ولو أيقن المؤمن بشمول علم الله وبنظره إليه ما كانت له خائنة أعين.

و ذكر ابن كثير ما مختصره: يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس ربهم، فيتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة، ويعلم ماتنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والأسرار.

هذه المعاني وغيرها تدور حول اختلاس العين للنظر في غفلة الناس، فالله تعالى يعلم هذه النظرات ويعلم خيانة العين للناس، ويخبرنا التطور العلمي بأن العلماء استطاعوا معرفة الأشياء التي شاهدها الإنسان خلسة وأراد أن يخفيها عن الآخرين، ولكن العين تفضح وتخبر بما أخفاه.

قد يتطاول البعض بنظره إلى أعراض الناس وإلى ما يحرم النظر إليه، وقد يستطيع الفاعل أن يخفي فعلته عن الآخرين، لكن ذلك لايخفى عن علم الله المحيط بكل ذرات الوجود الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. فما من مخلوقٍ على وجه الأرض، يستطيع أن يكشفَ خيانةَ العين إلا الله، هو وحدهُ يعلم خائنة الأعين، مثال ذلك: طبيبٌ مسموحٌ له أن ينظرَ إلى جسدِ المرأة، لكنَّ الشرعَ سمحَ لهُ أن ينظرَ إلى موضع العِلّةِ فقط، فلو سبقتهُ عينهُ إلى مكانٍ آخر، هذا شيءٌ لا يستطيعُ مخلوقٌ أن يطلّعَ عليه إلا الله .

خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ

في عام2015 نشر بحث علمي على موقع الجارديان يؤكد هذه الحقيقة بعنوان : How your eyes betray your thoughts

كيف يمكن لعيونك أن تكشف أفكارك؟

مفاده: بعد دراسات طويلة وجهود كبيرة ومضنية تبين للعلماء أن هناك حركات خفية للعين باستمرار (حتى وهو نائم) وهذه الحركات تقوم بها العين بشكل لا شعوري، وتتصل مع خلايا الدماغ وكأن العين تحاول باستمرار إظهار ما يحاول أن يخفيه الإنسان من أحاسيس وأفكار وكذب أو صدق، وحب وكره، بل والأفعال الخطيرة التي قام بها ولا يريد لأحد أن يعلمها.. كل هذا تفعله عينك دون أن تشعر أو تتمكن من السيطرة عليها!. وهذه الحركات لا يمكن أن نرصدها بالعين المجردة، ولكن يمكن تصويرها بكاميرات حديثة، تخبرنا بما يدور في دماغ الإنسان

ويقول الباحثون في جامعة University College London : إننا لن نحتاج في المستقبل لأجهزة تصور الدماغ وتقرأ ما فيه، بل سوف يكتفي العلماء بمراقبة حركات العين السريعة واللاشعورية ليتنبئوا بما يدور في رأسك من أفكار ومعتقدات أو حتى الحب والكره!.

صفوة القول

لقد أثبت الباحثون اليوم بأن الأعين تخون وتفضح صاحبها وتُخبر بما يخفيه الإنسان، فتكشف أسراره ورغباته الداخلية العميقة والتي لا يرغب بالإفصاح عنها ، فيمكن للعلماء اليوم أن يتنبئوا من خلال حركات العين بما يدور في رأس الإنسان من قرارات وآراء ورغبات وشهوات. وهذا المعنى يتطابق مع التعبير القرآني، والذي جاء في زمن لم يكن أحد يدرك شيئاً عن أسرار هذه العمليات الدقيقة والسريعة وعلاقة العين بالدماغ .

إن هذا التعبير القرآني (خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ)، رائع حقا، فهو يعبر بدقة مذهلة عن حقيقة هذه الظاهرة.. فالإنسان يحاول باستمرار أن يخفي أفكاره، والعين تحاول باستمرار أن تكشف وتفضح هذه الأسرار من دون أن يشعر وكأنها تخونه!.